يجب أن نحبَّ المكان الذي نعيش فيه وأن نصلِّي من أجله

حديثٌ سادسٌ حول القدَّاس الإلهي – الجزء الأول

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

فلنُتابع دراسة نَصِّ القدَّاس الإلهيّ. في المرَّة الأخيرة، تكلَّمنا على الطِّلبة التي تتضمَّن صلاةً من أجل رئيس الكهنة والكهنة والشمامسة، وكلِّ رتبةٍ مقدَّسةٍ [من الإكليروس]، والشعب كلّه. ردًّا على هذه الطلبة ترتِّل الجوقة: "يا ربُّ ارحم!"، وبعدها يُعلن الشمَّاس قائلًا: "من أجل هذه المدينة وجميع الأديرة والمدن والقرى والمؤمنين السَّاكنين فيها، إلى الربِّ نطلب".

عبَّرَ أحد قدِّيسي القرن الثاني بشكلٍ جميلٍ عن رأيه في المسيحيِّين (اسمه مجهولٌ حتّى الآن)، وذلك في رسالةٍ وجَّهها إلى شخصٍ يدعى ديونيسيوس، قال فيها: "المسيحيُّون غرباء عن كلِّ شيءٍ في العالم، لكنَّهم، في الوقت عينه، يُصَلُّون بمحبّةٍ من أجل كلِّ شيء حولهم – من أجل المدينة والبلد الذي يعيشون فيه". ومن خلال صلواتهم، يجتذبون برَكة الله لتحُلَّ على أيِّ مكانٍ يوجَدون فيه.

تُصلِّي الكنيسة "من أجل هذه المدينة، وجميع المدُن" حيث يتمُّ الاِحتفال بالقدَّاس الإلهيّ. وفي سياق هذه الطِّلبة، تشمل كلمة "المدينة" كلَّ ما فيها: أي المكان، والأبنية، والسكَّان، مع طريقة عَيشهم. تكشف هذه الطلبة ميزة الكنيسة والمبدأ الأخلاقيَّ الذي تغرسه فينا، وهو ألَّا نكون غير مبالين بالمكان الذي نعيش فيه. هذا يعني أنَّه علينا ألَّا نكون غير مبالين بما إذا كان كلُّ شيءٍ يجري على ما يُرام في بيتنا ومدينتنا والعالم أجمع. ينبغي أن نهتمَّ بذلك، وأن نرغب في أن يكون كلُّ شيءٍ على ما يرام في مدينتنا، وأن تحلَّ عليها بركة الله، ويسود فيها القانون والازدهار، ويكون سُكّانها سعداء.

فكِّروا في روايةِ سفر التكوين عن سدوم وعمورة. ارتدَّ سكَّان هاتين المدينتين وتحوَّلوا عن الله بسبب كثرة خطاياهم، حارمين أنفسَهم من ستر النِّعمة الإلهية، ممّا جلبَ كارثةً مروِّعةً على مدُنهم. وقبل دمار سدوم وعمورة بالكبريت والنار، جرت المحادثة الشهيرة بين الله وإبراهيم البارّ. سأل إبراهيمُ الله: "إذا بقيَ في المدينة مئة بارٍّ، فهل تدمِّرها؟". فأجاب الله: "لا، إذا وُجِدَ مئة بارٍّ، فإنِّي لأجلِ المئة لا أدمِّر المدينة".

أدرك إبراهيم أنَّه اقترح عددًا كبيرًا جدًّا، فقال:

- وإذا كان هناك خمسون؟

- إذا وُجِدَ خمسون، فلن أدمِّر المدينة لأجل الخمسين.

- سامحني، وإذا كانوا خمسةً وعشرين؟

وخفَّض إبراهيم العدد مرّاتٍ عدَّة: "وإذا كان هنالك عشرون؟ خمسة عشر؟ عشرة؟". ولكن، كما نعلم، لم يكنْ هناك حتَّى عشرة أبرارٍ في سدوم وعمورة.

إنَّها لَمحادثةٌ مذهلة! ماذا تعلِّمُنا؟ تُرينا أنَّ الأبرار هم كنايةٌ عن أوعيةٍ لبرَكات الله. يجتذبون النعمة الإلهيَّة إلى المكان الذي يعيشون فيه، وبفضل ذلك، يتقدَّس المكان ويحفظُه الله. عندما تسكن نعمة الله فينا وتسترنا، تأخذ جميع ظروف حياتنا منعطفًا أفضل، بلا شكّ. وبالطبع، هذا لا يعني أنَّ سكّان المناطق التي تقع فيها نكباتٌ، وكوارث طبيعيَّة، وزلازل، وما شابه ذلك، هم خطأةٌ أو لا يُصلُّون من أجل مدينتهم. فثمّة العديد من المدن المقدَّسة التي كثيرًا ما وقعت فيها زلازل وحرائق وكوارث أخرى مدمِّرة.

إذًا، نحن المسيحيِّين ملزَمون بالصَّلاة من أجل مدينتنا والسُّلطات التي فيها، بغضِّ النظر عمَّا إذا كُنّا نحبُّهم أم لا، وإذا كانوا مُنتسبين إلى الحزب الذي نحبُّه أم لا. يجب علينا أن نصلِّي من أجل قادتِنا الذين هم رأس الدَّولة والسُّلطة العامَّة. فهؤلاء يحتاجون إلى استنارةٍ من الله، وإلى معونةٍ إلهيَّةٍ، ليقوموا بأعمالٍ صالحةٍ لخير الناس والبلاد.

هذا هو المبدأ الأخلاقيُّ الذي تغرسه الكنيسة فينا. لا يمكنك القول: "هذه المدينة ليست مسقط رأسي، ولن أصلِّي من أجلها"، أو "لا أحبُّ هذه المدينة –لمَ يجب عليَّ أن أصلِّي من أجلها؟ فلتتدمَّر تمامًا!– لا يهمُّني الأمر مُطلقًا". بما أنَّنا نعيش هنا، فإنّنا نصلِّي من أجل هذا المكان. نحبُّه بقدر ما نحبُّ بيتنا، وبقدر ما نحبُّ كلَّ شيءٍ حولنا. ولا نحبُّ مدينتنا فحسب، بل كلَّ مدينةٍ وبلد. يجب أن تتَّسع محبَّتنا لتشمل كلَّ مكانٍ على وجه الأرض، كلَّ موضعٍ من مواضع سيادة الربِّ (راجع مزمور 102:22). ما إنْ ندرك أنَّ العالم الذي نعيش فيه هو خليقة الله وأنَّ الله أبدعه بشكلٍ رائعٍ وجميلٍ جدًّا، راغبًا في أن يُظهِرَ لنا محبَّته، عندها سنُحبُّ هذا العالم، سنُحبُّ مدينتنا وكلَّ شيءٍ فيها، وسنُصلِّي من أجل هذا كلِّه. يجب أن ينمِّي الإنسان في داخله

حسَّ المحبَّة هذا. فذاك يجعله أكثر قُربًا وموَدَّةً تجاه كلِّ ما يجري حوله، ولا يدعُه يبقى غير مبالٍ بما يجري في مدينته ومَوطنه والعالم أجمع.

عندما لا يعود الإنسان يبالي بأيِّ شيءٍ حوله، يصبحُ بالتدريج غيرَ مبالٍ بنفسه. ثمّ يبدأ بالتراجع روحيًّا. هذا هو السبب في أنَّنا نجد اليوم كثيرين يعانون بسبب إدمان الكحول أو المخدِّرات. يبدأ الأمر بكون هؤلاء غير مبالين بغُرَفِهم الخاصة. تدخلُ الغرفة فتجدُ المصباح مقلوبًا رأسًا على عقب، وفردة حذاءٍ مرميَّةً على رفِّ الكتب والثانية قد وقعَت في مكانٍ آخر... يبدأ الأمر من هنا. إذا أردتَ أن تعرف إذا كان كلُّ شيءٍ يسير على ما يُرام مع أحدٍ ما – عقليًّا ونفسيًّا وحتّى روحيًّا – انظر أين يعيش. مهما بدا الأمر غريبًا، يمكنك أن تعرف كلَّ شيءٍ عن الإنسان من خلال منزله. إذا كنتَ غير مبالٍ بمنزلك، فهذا مؤشّرٌ سيّئٌ، وهو يعني أنَّه قد أصابكَ خطبٌ ما، إلّا إذا كنتَ ناسكًا عظيمًا كنُسَّاك الصحراء الذين، بداعي العمل الرُّوحيّ، قد أهملوا كلَّ شيءٍ عمومًا. ولكن لم يَصِلْ أيٌّ منَّا إلى درجةٍ مماثلةٍ من الرُّوحانيَّة. إذًا، لا تعود هذه اللامبالاة علينا بالخير. وبالطبع، أنا لا أقول إنَّه من الجيّد أن يكون المرء مهووسًا من الصباح إلى المساء، لأيّامٍ متواصلة، بغسلِ وتنظيف شيءٍ ما في منزله والصُّراخ على الناس لئلّا يجرُؤوا على الدَّوس على الأرضيَّة التي نظَّفها توًّا. ليس هذا ما نتحدَّث عنه الآن.

يمكنني أن أؤكِّد لكم أنَّ جميع القدّيسين المعاصرين الذين عرفتُهم كانوا أناسًا مُنظَّمين إلى أبعد الحدود. عاش العديد منهم في أكواخٍ فقيرةٍ مُزرية، في فقرٍ مُدقع -لا يمكن حتّى وصفُ فقرهم- لكنّهم كانوا مُرتَّبين جدًّا.

أتذكَّر شيخنا الدَّائم الذِّكر يوسف الفاتوبيذي. كان إنسانًا بسيطًا وغير متعلِّم. كان حكيمًا، وفاضلًا، وقدِّيسًا، وأمضى العديد من السنوات مع الشيخ [القدّيس] يوسف الهدوئيِّ في الكهوف. ومع ذلك، عندما كنتَ تدخل إلى قلّايته كنتَ تجِدُ كلَّ شيءٍ مرتَّبًا في مكانه دائمًا. كان السكّين الصغير الذي استخدمه لقصّ الورق وفتح المغلَّفات موجودًا في مكانه دائمًا. هنا قلمٌ وهناك بعض الأوراق. كان من المستبعَد أن تدخل قلّايته وتجد فوضى. كان الشيخ يعلم أين يوجد كلُّ غرضٍ، وكان يمدُّ يده في الظلام من دون إضاءة (لم يكن لدينا كهرباء بل كنّا نستخدم مصابيح الكاز)، ويمسك بالسكّين لأنّه كان دائمًا في المكان عينه. لم يكن

هنا أو هناك، بل في المكان عينه. وسنة بعد سنة، ولسنواتٍ كثيرة، ظلَّ كلُّ شيء في مكانه. ما زال بإمكاني رؤية قلّاية الشيخ أمام ناظريّ: ثيابه، أغطيته، حذاءه.. كانت الفردتان دومًا بجوار سريره، وكنتَ تجدُ السجّادة الصغيرة التي كان يقوم بالسجدات عليها ملفوفةً وموضوعةً في زاوية القلّاية.

في إحدى المرّات، عندما كنتُ لا أزال مبتدئًا، وكنتُ مسؤولًا عن الاهتمام بالمضافة كعمل طاعة، زارَنا بعض الحُجّاج، وكانوا مجموعةً من الشُّبَّان. أتى الشيخ يوسف إلى المضافة، وألقى نظرةً إلى إحدى الغرفتَين حيث أمضى الشبَّان ليلتهم – أوه! وجد أغطيةً وشراشفَ ووسائدَ مبعثرةً في كلّ مكانٍ في الغرفة. قال لنا الشيخ لاحقًا: "كيف يمكن للمرء أن يقتني نعمة الله في حين أنَّه لا يستطيع حتَّى أن يرتِّب سريره؟ هل وقعت معركةٌ هنا في اللَّيلة الماضية؟". كان هناك ثقبٌ في الغطاء، وكان أحدُ الخُفَّين مرميًّا هنا والآخرُ هناك –"معقول! لقد أمضوا فقط ليلةً واحدةً هنا...". كان الشيخ يوسف مرتَّبًا جدًّا.

كثيرًا ما رافقتُه في أسفاره. في إحدى المرَّات ذهبنا إلى روسيّا حيث أُرسِلَ الشيخ يوسف كمُمثِّلٍ عن دير فاتوبيذي. نزلنا في فندقٍ، في غرفةٍ واحدةٍ كبيرة. كلَّ صباحٍ، كان الشيخ يبدأ بالتنظيف -ينظّف الأطباق والمرحاض- كان ينظِّف كلَّ شيء. قلتُ له:

- أيُّها الشيخ، ستأتي العاملات ويقمْن بهذا كلِّه
- كيف؟ هل سنترك الفوضى وراءنا؟

غادرنا الفندق تاركين الغرفة نظيفةً تمامًا، جاهزةً لاستقبال النُّزلاء الذين بعدنا. ما مِن مرَّةٍ لم ينهض فيها الشيخ ويرتّب كلِّ شيء.

كان القدِّيس باييسيوس مثله. لم يملك شيئًا في قلّايته الفقيرة. عندما كان يريد كتابة شيءٍ ما، كان يجلس على كرسيٍّ صغيرٍ ويضع لوحًا على حضنه، ويأخذ قلمًا وورقًا من كوَّةٍ في الجدار ويكتب على اللَّوح. كان سريره أشبه بنَعش. وعِوضًا عن المصباح كانت لديه شمعة. كان يعيش في فقرٍ مدقع، لكنَّه، في الوقت عينه، كان شخصًا مرتَّبًا. ما كنتَ لِتجد عنده فوضى.

لذلك، إذا وجدتُم شيئًا من الفوضى في غرفة أطفالكم، ينبغي أن تولوا ذلك اهتمامًا. يجب أن تدركوا أنَّ شيئًا ما ليس على ما يُرام في عالمهم الرّوحي. طبعًا، قد يعود الأمر إلى شيءٍ من اللامبالاةِ والبلادة: فالأطفال معتادون أن تقوم أمُّهم بكلِّ شيءٍ من أجلهم، حتى جلب الحليب إليهم وهم في أسرَّتهم (وهي تخطئ بفعل ذلك، لأنَّها بذلك تؤذيهم!). يجب ألّا تفعلوا ذلك، بل علِّموا أولادكم أن يقوموا بأنفسهم بترتيب أسرَّتهم، والاغتسال، وتسريح شعرهم، وتناول فطورهم، وهلمَّ جرًّا. ولكنَّ الأمر الجوهري هو أنَّه علينا جميعًا أن نتعلَّم أن نحبَّ المكان الذي نعيش فيه، حتّى ولو لم يكنْ مكانَ إقامتنا الدائم: اليوم أقيم هنا في هذا المكان، وغدًا سأكون في مكانٍ آخر. إنَّ كوني سأغادر هذا المكان غدًا لا يعني أنَّه يمكنني تخريب كلِّ شيءٍ هنا. إذًا، الفوضى الخارجيّة واللامبالاة وقلّة الاحترام تجاه مكانِ سكن المرء، هي كلّها علامات فوضى روحيَّة؛ إنّها علاماتٌ على أنَّ المرء يعاني من صعوباتٍ روحيَّةٍ داخليَّة. حين يكون كلُّ شيءٍ منظَّمًا تنظيمًا حسَنًا في نفسك، سيكون لديك ترتيبٌ خارجيٌّ أيضًا. لا يمكن أن يكون الأمر مُغايرًا.

أحِبُّوا مدينتكم وصلُّوا من أجلها، متمنِّين الخير لسُكَّانها. افرحوا عندما يحصل شيءٌ جيِّدٌ في مدينتكم، لا تكونوا غير مبالين بمكان إقامتكم. حين تهتمُّون لأصغر الأمور وأبسطها، ستكونون حينها منتبهين للأمور الأكبر والأكثر أهميَّة. حين تفرحون، على سبيل المثال، عند بناء مستشفى جديد، وطريقٍ جديدٍ جميل، حين تحبّون مدينتكم، ستبدؤون بشكلٍ طبيعيٍّ بمحبّة جميع المدن الأخرى، وستفرحون وتشكرون الله على كلِّ مكانٍ على وجه الأرض. وستصبح حياتكم عندها ممتعةً ومبهجة، وليست مملَّة أو خاملة.

أحد عوارض زمننا الحالي هو "فقدان الشهيَّة" الروحيّة. يتجلَّى فقدان الشهيّة الجسديّ (anorexia) بفقدان المرء للشَّهية، فلا يعود يرغب في تناول أيِّ شيءٍ على الإطلاق. أمَّا في فقدان الشهيّة العقليّ والروحيّ، فلا يعود شيءٌ يهمُّ المرء أو يلمسُه أو يشغلُه أو يُسعِدُه؛ يصبح غير مبالٍ تمامًا بأيِّ شيءٍ، سواء أكان شيئًا جيِّدًا له أم سيِّئًا.

لدى كثيرين اليوم دافعٌ لتدمير كلّ ما حولهم. يرغب بعض الناس علنًا في ألّا تسير الأمور على نحوٍ جيِّدٍ في مدينتهم. فلنقُلْ مثلًا إنَّهم يجِدون جدارًا أبيض نظيفًا في مكانٍ ما – سيقوم هؤلاء حتمًا بكتابة شتائم وأمورٍ

غير لائقةٍ على كامل الجدار. لماذا؟ فقط لتخريب الجدار. حتّى إنَّ هناك مقولةٌ تقول: "الجدار الأبيض هو قطعة ورقٍ بالنسبة إلى الأحمق".

يشهد هذا كلُّه على نقص روح الشُّكران، أو انعدامها، هذه الروح التي تنمِّيها الكنيسة في قلوبنا بمعونة القدَّاس الإلهيّ. فالقدَّاس الإلهي يحتضن كلَّ شيء -الأمور الروحيَّة الأسمى، ملكوت السموات الذي قيلَ عنه: "لأنّ ليس لنا هنا مدينةٌ باقية، لكنّنا نطلبُ العتيدة" (عبرانيّين 13 : 14)- وكذلك موطننا الحاليّ ومدينتنا ومكان إقامتنا الذي نكرِّمه ونحبّه، ونباركه ونقدِّسه، وندافع عنه ونصلّي من أجله. انظروا، عندما خلق الله الإنسان لم يضعه في قفْر، بل أسكنه في فردوس عدنٍ الجميل - ليعمله ويحفظه (تكوين 2 : 15). فقط بعد سقوط آدم وحوّاء، ظهر الشَّوك والحسَك، والأراضي القاحلة التي يعمل فيها الإنسان بصعوبةٍ بالغةٍ وبعرق جبينه.

إذًا، تتكشَّف حقيقة الإنسان الروحيَّة من خلال الأمور البسيطة اليوميَّة: كيف يتصرَّف تجاه بيته، وثيابه، ومظهره الخارجيّ، والأشياء المُحيطة به؛ كيف يُكلِّم الآخرين وكيف يتعامل مع عائلته في البيت أو مع زملائه في العمل.

أتذكّر ما قاله أحدُ شيوخ الجبل المقدّس ذات مرّة: "حين تستخدم أداةً لحِرفةٍ يدوية، عليك أن تشكرها حين تنتهي من العمل بها". أرى أنّكم تبتسمون بعد سماع ما قاله. ولكن، ما الذي يعنيه كلام الشيخ؟ هو يدلّ على أنَّه كان يُقدِّر كلَّ شيءٍ حوله تقديرًا شديدًا. أخبرَنا شيخنا يوسف [الفاتوبيذي] أنَّه حين كان يعمل في حفر أختام خبز التقدمة، ما إن كان يجلس ويلتقط السكّين للعمل، كان يشعر فورًا بنعمةٍ عظيمة، وكانت الصلاة الذهنيّة تبدأ بالعمل في داخله من جرّاء هذه النعمة. كلُّ ما كان عليه فعله هو التقاط أداة... وكان ذلك يحدث معه لأنّه كان يتعامل مع أدواته بانتباهٍ واحترام. اعتنى بتلك الأدوات وكان يسنُّها وينظّفها ويُعيدُها إلى مكانها في الدُّرج.

أتذكّر شابًّا مسيحيًّا تقيًّا جدًّا ذا ميلٍ نسكيّ، كان يعمل في كافيتيريا. كان يقدّم للزبائن القهوة والعصير وأشياء أخرى، وكانت لديه صينيّةٌ يحملها في كلّ مكان. أَحَبَّ هذه الصينيّة كثيرًا حتّى إنَّه عندما أراد تغيير عمله، طلب من رئيس عمله السابق أن يعطيه إيّاها. كانت تلك الصينيّة بسيطةً ورخيصة، ربمّا تساوي دولارين فقط

اليوم. سألتُ هذا الشابّ: "لِمَ أنتَ بحاجةٍ إليها؟". فأجابني: "إنّها تعني لي الكثير. بفضلِها وجدتُ نعمة الله".

هذا ما أخبرني إيّاه، وأنا أصدّقه بكلّ تأكيد؛ فبِفضل هذه الأداة التي استخدمها لخدمة الآخرين بمحبّة، وجدَ النعمة، وحسَّنَ من نفسه، ونجح وتقدَّم روحيًّا.

ما كان شيءٌ من هذا ليحصل مع هذا الشابّ لو أنّه تعامل مع هذه الصينيّة بازدراءٍ أو كراهية، كما يفعل بعض الأولاد في المدرسة: يمزّقون دفاترهم وكتبهم، ويركلون حقائبهم، ويكسرون النوافذ والمقاعد. ما معنى سلوكٍ كهذا؟ إنَّه يدلّ على حالةِ نفوسهم: ليست لدى هؤلاء الأطفال علاقةٌ بالأشياء المحيطة بهم كما لو أنّها مقدّسة – مدرستهم وصفّهم ومعلّمتهم. إنَّه لأمرٌ سيّئٌ ألّا يحبّ الإنسان العمل الذي يقوم به والأشياء التي يستخدمها ويملكها.

عندما كنتُ أعيش في الإسقيط الجديد في الجبل المقدّس، كانت الخِياطة عملَ الطاعة الذي قمتُ به عدّة سنواتٍ. كان أحد الرهبان يتولّى الطبخ وآخر مسؤولًا عن المضافة، وأنا تولّيتُ الخياطة. كنتُ أعمل على ماكينة خياطة ذات دوّاسة قدم. وكما قلتُ، لم تكن لدينا كهرباء (لا تفكّروا في شراء ماكينة خياطة لي في المطرانيّة، فلا وقت لديّ للخياطة الآن مطلقًا!). ماذا أقول؟ ما إن كنتُ أجلس لأعمل على ماكينة الخياطة، كانت ينتابني شعورٌ رائع! لا توجد كلماتٌ تشرح أو تصِفُ الإحساس الذي كان يملأ نفسي حينها! الخياطة هي عملٌ رائعٌ حين تجري بصلاةٍ ومحبّة. أحببنا أدواتنا وأشياءنا. شيوخنا علّمونا ذلك. لم يكن لدينا موقفٌ كهذا في البداية [كرهبانٍ مبتدئين]، عندما كنّا قد أتينا توًّا من العالم [إلى الجبل المقدّس]. وبدا احترام الأشياء أمرًا مضحِكًا لنا، لأنّنا كنّا غير مبالين بشيء. ثمّ رأينا آباءنا وشيوخنا والنسَّاك، رأينا كم كان موقفهم طيّبًا وكم أولوا من محبّةٍ واحترامٍ لأدواتهم وأغراضهم، حتّى ولو كانت مجرّد كيسٍ أو صندوق.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol (2022). “We Must Love and Pray for the Place Where We Live. Sixth Talk on the Divine Liturgy, Part 1.” *OrthoChristian*.

الأولاد والحياة الكنسيّة

المتقدّم في الكهنة الأب ألكسندر (شميمن)

كقاعدةٍ عامّة، يحبُّ الأولاد الذهاب إلى الكنيسة؛ وهذا الانجذابُ الفطريُّ نحو الخِدَم الكنسيَّة والاهتمامُ بها هو الأساس الذي يجب أن نبني عليه تربيَتنا الدِّينية. عندما يقلق الآباء من أنَّ الأولاد سيتعبون من الخِدَم الطويلة، ويشفقون عليهم، فإنَّهم عادةً ما يُعبِّرون لاشعوريًّا عن قلقهم لا على أولادهم بل على أنفسهم. فالأولاد ينخرطون في عالم الطقوس والرموز الليتورجيَّة بسهولةٍ أكبر من الراشدين، لأنّهم يشعرون بجوِّ خِدَمِ كنيستنا ويُقدِّرونه. يدرك الأولاد أكثر منّا اختبار القداسة، وإحساسَ اللقاءِ بكائنٍ يتجاوز الحياة اليوميَّة، وذاك السرَّ الرهيب (mysterium tremendum) الذي هو لبُّ خدمنا الكنسيَّة. "إن لم ترجِعوا وتصيروا مثل الأولاد"، تنطبق هذه الكلمات على التلقّي، وانفتاح الذهن، والعفويّة التي نفقدها عندما نتجاوز مرحلة الطفولة. كم من الناس كرَّسوا حياتهم لخدمة الله ونذروا أنفسهم للكنيسة لأنَّهم منذ الطفولة حافظوا على محبَّتهم لبيت العبادة وفرح الخبرة الليتورجيَّة! لذلك، أوّل واجبٍ يقع على عاتق الأهل والمُربِّين هو أن يدَعوا الأولاد ولا يمنعوهم (راجع متّى 19: 14) من الحضور إلى الكنيسة، لأنّه ينبغي للأولاد أن يسمعوا كلمة الله في الكنيسة قبل أيِّ مكانٍ آخر. فالكلمة تكون صعبة الفهم في الصفِّ الدراسيّ لأنّها تبقى كلمةً مجرّدة؛ أمّا في الكنيسة، فهي تكون في بيئتها. في مرحلة الطفولة، نملك القدرة على أن نفهم، لا فكريًّا بل بكامل كياننا، أنَّه لا يوجد فرحٌ على الأرض أعظم من أن نكون في الكنيسة، ونستطيع أن نشارك في خِدَمِ الكنيسة، وأن نستنشق عطر ملكوت السموات الذي هو "فرحٌ وسلامٌ في الروح القدس".

منذ أيّام الطفولة الأولى، يجب أن يترافق الحضور إلى الكنيسة مع أجواءٍ منزليَّةٍ تُمهِّد لجوِّ الكنيسة وتكون امتدادًا واستمرارًا له. فلنأخذ صبيحة الأحد مثالًا: كيف يمكن للولد أن يشعر بقداسة ذلك الصباح وما سيراه في الكنيسة إذا كان المنزل يضجُّ بصوت الراديو والتلفاز، والوالدان يدخّنان ويطالعان الصُّحُف، ويسود عمومًا جوٌّ دنيويّ؟ لا بدَّ من أن يسبق الذهابَ إلى الكنيسة إحساسٌ بالتركيز الداخليّ، ونوعٌ من الهدوء والتوقير. إنّ إشعال القناديل أمام الأيقونات، وقراءة فصولٍ من الكتاب المقدّس، وارتداء ثيابٍ نظيفة ومرتّبة، وترتيب الغرف بشكلٍ احتفاليّ، هي جميعُها تفاصيل لا يدرك الأهل غالبًا أنّها تُشكِّل الوعي الدينيّ للولد، وتترك في نفسه

بصمةً لن تمحوها المِحَنُ لاحقًا. في عشيَّة وصبيحة أيّام الآحاد والأعياد الكنسيّة، وخلال الصَّوم، وفي الأيّام التي نستعدُّ فيها للاعتراف والمناولة، ينبغي للمنزل أن يعكس روح الكنيسة، وأن يستنير بالنور الذي نحمله معنا من العبادة.

والآن فلنتحدَّث عن المدرسة. يبدو لي جليًّا أنَّ تنظيم ما يُدعى بـ"مدارس الأحد" في وقت إقامة القدّاس الإلهيّ يتناقض بشكلٍ جوهريّ مع روح الأرثوذكسيّة. فقدَّاس الأحد هو اجتماعٌ مُبهِجٌ لجماعة الكنيسة، ويجب أن يعرف الولد ذلك ويختبره لفترةٍ طويلة، قبل أن يتمكَّن من فهم المعنى العميق لهذا الاجتماع. يبدو لي أنَّ اختيار يوم الأحد لمدرسةِ الكنيسة ليس خيارًا موفَّقًا. يوم الأحد هو يومٌ ليتورجيٌّ أوّلًا وقبل كلِّ شيء، ويجب أن يتمحور حول الكنيسة والقدّاس الإلهيّ. من الأفضل بكثير أن تُقام اجتماعات مدرسة الكنيسة يوم السبت قبل السهرانيّة أو خدمة الغروب. أمَّا التذرُّع بأنَّ الأهل لا يستطيعون أن يُحضِروا أولادهم إلى الكنيسة مرّتين في الأسبوع، أو لن يقوموا بذلك، فما هو إلَّا اعترافٌ بالتراخي والإهمال الأثيم لما هو مهمٌّ لأولادنا. عشيَّة السبت هي بداية الأحد، ويجب أن تتقدَّس ليتورجيًّا تمامًا كصبيحة الأحد. لماذا تُقام في جميع الكنائس الأرثوذكسيَّة في العالم خدمة الغروب أو السهرانيّة عشيّة الأعياد والآحاد؟ لا يوجد ما يمنعنا من ترتيب حياتنا الكنسيّة وفقًا لمبدأ: مدرسة - صلاة غروب - قدّاس، بحيث تكون المدرسة، بالنسبة إلى الأولاد، هي الإعداد والمقدّمة الأساسيّة ليومِ الربِّ، يوم قيامته.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Protopresbyter Alexander Schmemann (n.d.). “Children and Church”. Schmemann.org.

الربّ يحبّكم أكثر بكثيرٍ ممّا تحبّون أنفسكم

الأب أثناسيوس السيمونوبيتريتي

أحزن كثيرًا عندما أقابل أحيانًا خلال سرّ الاعتراف أشخاصًا أمضوا عقودًا في الكنيسة ولكنَّ نموَّهم الروحيَّ قد توقَّف. ولا يعود ذلك إلى عدم امتلاكهم فرصةً للنموّ الروحيّ وحفظ وصايا ربّنا، الذي هو تقديسنا الكامل، بل يعود إلى تراخيهم الروحيّ ويأسهم. يتوقّفون عن النموّ روحيًّا مثل طاحونة مياهٍ لا تدور، مع أنّه عليها أن تدور طول الوقت. يؤلمني أن أرى كيف يسلك المسيحيّون بعد أن يعترفوا، وكأنّهم لم يعترفوا قطّ، يبتعدون عن حامل الإنجيل والصليب[1] وكأنّ شيئًا لم يكُن. يبقون على حالهم؛ وبمجرّد عودتهم من الكنيسة إلى المنزل، يتشاجرون مع زوجاتهم ويتجادلون مع أولادهم. أين ذهبَت نعمة المناولة المقدّسة؟ هل زالت؟ إنّها موجودة، لكنّنا نتعامل مع الأسرار المقدّسة على نحوٍ غير لائق؛ ونتيجةً لذلك، نعيش في حالةٍ من الفصام الروحيّ: نفكّر في شيء، لكنّنا نفعل شيئًا آخر؛ نريد أن نفعل أمرًا، لكنّنا لا نستطيع فعله. وهكذا يزداد يأسُنا، ونَصِلُ إلى النقطة الحاسمة ونقول: "ماذا استطعتُ أن أحقِّق في حياتي؟ إنّني أستسلم".

نيأس، ونتوقّف عن النموّ، ولا نتقدّم روحيًّا. وغالبًا ما تُجرّبنا أفكارٌ "توَشوِش" لنا قائلةً: "ضَعِ المسيح موضعَ اختبار! أيّ صلاحٍ فعله لك؟ أريد العودة إلى الحياة الدنيويّة!". وبالفعل، نعود.

فلماذا لا ينجح الناس في الحياة الروحيّة؟ أوّلًا، نحن من نسل آدم القديم. من خلال سقوط جدَّينا الأوَّلَين، أصبحنا جميعًا نرتدي جسدَ الفساد والموت. وكما يقول القدّيس بولس الرسول: "ولكنّي أرى ناموسًا آخر في أعضائي، يحاربُ ناموسَ ذهني" (رومية 7: 23). نتألّم ونَصِلُ إلى حدّ القول مع القدّيس بولس الرسول: "ويحي أنا الإنسانُ الشقيّ! مَن يُنقذني من جسدِ هذا الموت؟" (رومية 7: 24). إذا قلنا هذا بتواضعٍ فإنّنا سنخلص؛ وإذا قلناه بيأسٍ فإنّنا سنهلك. هذه اللحظة تكون بالغة الأهمية تمامًا عندما نكون في حالة يأس. فاليأس يمكنه أن يقودنا إلى برَكةٍ عظيمة، لكنّه يستطيع أن يقودنا أيضًا إلى أعماق الجحيم.

[1] Analogion: الخشبة التي تستعمل لحمل الأيقونات أو الإنجيل أو الكتب. في سرّ الاعتراف، يوضع عليها الإنجيل والصليب (المترجم).

تذكّروا ما قاله الربّ للقدّيس سلوان الآثوسيّ الذي كان قد أمضى اثنَي عشر عامًا في الصلاة المستمرّة، والنوم ساعةً واحدةً فقط في اليوم، لكنّه وقع في اليأس لأنّه أخذ يرى شياطين أمامه فيما كان يصلّي ويصنع المطانيّات، وقد أرادت هذه تشتيته عن الصلاة. امتلأ يأسًا وقال: "يا ربّ، أنتَ لا تلين!". في هذه اللحظة بالذات، ظهر الربُّ للقدّيس سلوان وقال له: "أبقِ ذهنكَ في الجحيم ولا تيأس!".

أعتقد أنّ هذه الرسالة هي أكثر رسالةٍ معاصرةٍ يمكن أن يمنحنا إيّاها المسيح. فنحن نغلي بالخطايا والسقطات والأهواء، لكنّنا قد بورِكنا أيضًا بفرصةِ التخلُّص من كلّ عبوديّة آدم القديم. بوسعنا أن نخلع الثَّوب القديم الذي لآدم القديم، ونرتدي ثوبًا جديدًا. وهذا يتطلّب بعض الجهاد، الأمر الذي أريد أن أتحدّث عنه.

عندما سُئِلَ القدّيس سيسوي كيف يمكننا التخلُّص من الأهواء، أجاب قائلًا: "لكي تتخلّص الأفعى من جِلدها القديم، يجب أن تمرّ من خلال صدعٍ ضيّق". يستحيل فعلُ ذلك بطريقةٍ أخرى - هذا هو الناموس الروحيّ. لإزالة ثوب الفساد القديم، علينا أن نمرّ عبر فوهة النُّسك.

غير أنّكم سترُدّون على هذا قائلين: "أبانا، تستطيعون أن تفعلوا ذلك في الأديرة، لأنّكم رهبانٌ وقد قطعتُم نذور العفّة والطاعة والفقر. أنتم تسهرون، أنتم هكذا؛ أمَّا نحن فمختلفون، نحن نعيش في العالم. فكيف يمكننا أن نجاهد؟".

تذكّروا ما قاله القدّيس لونجينوس لراهبٍ آخر: "أعطِ دمًا وخُذ روحًا!". ويقول بولس الرسول القولَ عينه في رسالته إلى العبرانيّين: "وبدونِ سفكِ دمٍ لا تحصلُ مغفرةٌ" (عبرانيّين 9: 22).

لقد توقّف سفكُ دماء الحيوانات في العهد الجديد، وحلّ الجوهر محلّ النموذج. أعطى الظلُّ مكانه للنعمة - يجب أن نسفك دمًا من نوعٍ آخر، أي أن نسفك أنفسنا ورغباتنا (روحيًّا). هذه أصعب ذبيحة، وفيها تقديسنا. بطبيعة الحال، ننفر أحيانًا من كلمة "نسك" نفسها ونقول: "أيّ نسك؟ ماذا عليَّ أن أفعل الآن؟ ما هو مقياسي؟ لا أستطيع الصوم ولا السهر؛ لا أستطيع فعل أيّ شيء!". وهكذا، نفشل في إدراك قدراتنا، فنسقط في اليأس ونتخلّى عن كلّ شيء.

بهذه الطريقة، نفشل في التماس عذرٍ لأنفسنا، وليس ذلك فحسب، بل ولا نلتمس عذرًا لجسد الكنيسة أيضًا، الذي يتوقّع منّا القداسة. ولا نبرّر تجسُّد ربّنا نفسه، بل ننكره وجوديًّا وأنطولوجيًّا. فلماذا أصبح المسيح إنسانًا؟ لأنّنا لم نتمكّن من إزالة ثوب الجِلد هذا بأنفسنا، فلَبِسَ ذاك الذي بلا خطيئة، ثوبَ جِلدنا ليُساعدنا. يشبه الأمر شيخًا لا يستطيع المشي بمفرده، فيتمسّك بذراع ابنته أو ابنه أو أيّ شخصٍ آخر يستطيع أن يمشي ويقوده في الطريق. يحصل الأمر عينه مع المسيح، هو الذي أخذ بذراعنا واتّخذ الطبيعة البشريّة كلّها لكي يقودنا إلى أبيه السماويّ. يجب أن نبحث عن طريق نسكنا الشخصيّ. يقول الرسول بولس: "وكما قسَمَ الله لكلّ واحدٍ، كما دعا الربّ كلّ واحدٍ، هكذا لِيَسلُكْ" (1 كورنثوس 7: 17). هذه هي الحقيقة.

من الأسهل لنا، نحن الذين في الأديرة، أن نتقدّم ونتغلّب على أهوائنا، إذ لا ظروف خارجيّة تعيقنا وتقيّدنا. ففي العالم عقباتٌ عديدة، بينما الحياة الرهبانيّة سهلة. أنا متأكّدٌ من هذا، والرهبان يقولون ذلك. الحياة في العالم صعبةٌ وتتطلّب تضحيةً أكبر. نحن لا نحتاج إلى التضحية بالكثير – بل بإرادتنا فقط. أمّا أنتم الذين في العالم، فيجب أن تتخلّوا عن الكثير من الأمور من أجل الجهاد! لكن حتّى أصغر عملٍ تقومون به، ومحبّة الله التي تُعبّرون عنها، سيَقبلُها المسيح نظير ألفٍ من أعمالنا. سيُعادل عملٌ واحدٌ من أعمالكم ألفًا من أعمالنا. ويمكنكم أن تخلُصوا بهذا العمل الواحد فقط! يمكنكم دخول السماء بدينارٍ واحدٍ فقط، وبآلاف الملايين من الدينارات يمكنكم أن تُتركوا خارج بوّابتها. لماذا؟ لأنّ الربّ سيطلب الكثير ممّن يعرف الكثير.

ثمّة شروطٌ معيّنةٌ في مسألة التخلُّص من أثواب الجِلد، أوّلها الاسترشاد لدى أبٍ روحيّ. إذا لم يكن لدينا سائقٌ متمرّسٌ خلف مقوَدِ نفسنا، إذا لم يكن لدينا سائقٌ في سيّارتنا ليوجّهنا، فإنّنا سنُدمّر أنفسنا. يجب ألّا نقوم بأدنى حركةٍ في حياتنا الروحيّة باستقلاليّة، بسبب خطر الوقوع في الخديعة. أنتم تعلمون أنّ الرهبان والآباء العظماء كانوا متواضعين، وبعد معاينة رؤى عظيمة كانوا يلجؤون دائمًا إلى الآباء الساكنين بجوارهم لطلب النُّصح، حتّى لو كان الأب أدنى الرهبان. وكان الواحد منهم يقول: "أخي، رأيتُ رؤيا، رأيتُ ملائكة، رأيتُ هذا القدّيس وذاك، أو والدة الإله الفائقة القداسة. ما رأيكَ في ذلك؟ هل هي رؤيا أو خديعة روحيّة؟".

لم يثقوا قطُّ في قدراتهم وقداستهم، بل عدّوا أنفسهم غير مستحقّين مُطلقًا لمثل هذه الرؤى. ونحن الذين نمتلك الكثير من الخطايا، عندما تغشى أعيننا الروحيّة بسبب "القيح" الذي يملؤها من جرّاء الأهواء، فلن

يمكننا استعادة بصرنا ما لم نلجأ إلى طبيبٍ روحيّ لكي يَصِفَ لنا علاجًا أو نظّاراتٍ مناسبة. وإلّا فإنّنا سنهلك روحيًّا. ولكن يجب أن ننتبه جدًّا هنا. يجب أن نبحث عن طبيبٍ روحيّ مناسبٍ لنا، لأنّ "شهادات" الأطبّاء تختلف مستوياتها الروحيّة. فكما أنّنا نحاول أن نجد طبيب عائلةٍ جيّدًا لنعهد إليه بحياتنا وبعلاج أمراضنا، كذلك يجب علينا أيضًا أن نَجِدَ أبًا روحيًّا جيّدًا.

قد تسألونني: "أين يمكن للمرء أن يَجِدَ مثلَ هذا الأب الروحيّ؟". نشكر الله، لدينا بعضٌ منهم هنا. أعرف الكثير من الرهبان والآباء الذين يمتلكون التمييز، واللُّطف، والمحبّة، والتفهُّم، ومخافة الله، والذين يمكنهم إرشادكم. أولئك الذين ليس لديهم أبٌ روحيٌّ سيجدون حتمًا طبيبًا روحيًّا مثل الذي ذكرناه. لماذا؟ لأنّه من دون أبٍ روحيّ سينتهي بكم الأمر عند الطبيب النفسيّ. لا يوجد قرارٌ أوسط: إما أبٌ روحيّ أو طبيبٌ نفسيّ.

سيقودكم الضغط الذي تواجهونه في حياتكم اليوميّة إلى مواقف يائسةٍ لن تتمكّنوا من التعامل معها بمفردكم. لا تؤذوا نفوسكم، لا تدمّروا أنفسكم، بل تواضعوا أمام أبيكم الروحيّ وقولوا له: "أبي، لقد أخطأت!".

مهما كان عدد الأدوية التي وصفها لكم أطبّاؤكم، لا يمكنها مطلقًا أن تمنحكم نعمة بطرشيل الكاهن فيما تقفون بتواضعٍ تحته. عظيمةٌ هي النعمة التي منحنا إيّاها الربّ، ويجب أن نشكره عليها ونمجّده.

هل قابلتُم رجلًا واحدًا موهوبًا روحيًّا يعاني مشكلاتٍ نفسيّة؟ إذا وجدتُم شخصًا كهذا، فعرِّفوني به لأنّي لم أقابل مثله قطّ. هل قابلتُم أحدًا يصلّي ولديه توتّر؟ هل قابلتُم أحدًا يتناول القربان المقدّس باستعدادٍ ولديه مشكلات؟ إنّ المناولة تُسهّل أيضًا التغلّب على المشكلات الصحّيّة. هل قابلتُم أحدًا يقرأ المزامير ويعتريه الغضب؟ أو شخصًا يقرأ الكتاب المقدّس واتُّهم زورًا؟ لماذا؟ لأنّنا من خلال هذه الوسائل كلّها نقتبل الروح القدس.

إنّ الشخص الذي يعيش في حياته الحاليّة، وبأقصى قدراته، وفقًا لتعليم المسيح هو إنسانٌ كامل. يقول لنا المسيح: "كونوا كاملين كما أنّ أباكم الذي في السماوات هو كامل" (متّى 5: 48). كلّما فتحنا قلوبنا أكثر أمام المسيح واستقبلناه مخلّصًا شخصيًّا لنا وفاديًا، اقتربنا منه أكثر، وأصبحنا في شركةٍ معه، وصِرنا على مثال المسيح ومستحقّين الله. حينئذٍ، نقضي حياتنا كلّها بإرشادِ الروح القدس، عندما تسعى كلماتنا وأفكارنا وقلوبنا نحو الله. إلّا أنّنا لن ننال هذا كلّه من دون مرشدٍ روحيٍّ مختبِر.

قد يجادل بعضهم قائلين: "كيف يمكن للأب الروحيّ أن يساعدنا أكثر من الطبيب النفسيّ؟ يمكننا أن نتناول مهدّئًا وننام". أوافق؛ تناولوا الحبوب التي يصفها لك طبيبكم النفسيّ، ولكن جرّبوا أيضًا العلاج الذي تقدّمه كنيستنا. أنا لستُ ضدّ الأطبّاء النفسيّين، لا سيّما إذا كانوا يتّقون الله، فعندها سيتمكّنون من مساعدة نفوسنا المضطربة مساعدةً كبيرة. غير أنّ الطبيب النفسيّ الذي لا يؤمن بالله ويخافه، والذي لا يؤمن بوجود روحٍ بشريّة، يُشبه وحشًا مع وقف التنفيذ. اقتربوا من المسيح، صلّوا أكثر واعترفوا أكثر، قِفوا بتواضعٍ تحت البطرشيل وسترَون كيف ستختفي الهموم والقلق من حياتكم. سترَون كيف سيفتح الربُّ لكم الطريقَ وسط تحدّياتِ حياتكم.

قد يساعدنا الطبيب النفسيّ ضمن حدود بقائنا البيولوجيّ. وبفضل مضادّات الاكتئاب، يمكننا أن نشعر بالرضى مدّة ستّين أو سبعين أو ثمانين عامًا. ولكن ماذا سيحدث لنفوسنا بعد ذلك؟ يجب أن نفكّر دائمًا في الحياة بعد الموت. يجب أن يكون هدفنا بلوغ الأبديّة.

قد يقول أحدكم لي: "يا أبانا، ما أجملَ حديثك عن ذلك كلّه! لكنّنا غالبًا ما ننال إرثًا صعبًا. كان أبي مدمنًا على الكحول وولِدتُ لأكون مدمنًا على الكحول. وكانت أمّي عصبيّةً وورثتُ عيوبها ونواقصها".

سأجيب عن ذلك بما يلي: دعونا نقبل حالتنا بتواضع. كيف حالكَ، يا أخي؟ يمكنك أن ترى بعينٍ واحدةٍ فقط، لقد فقدتَ بصركَ تمامًا. من الجيّد أنّكَ لا تستطيع الرؤية وتتوق إلى رؤية الشمس. المسيح هو نور العالم؛ هو للعميان وللّذين يرَون. تستطيع الأعين التي منحنا إيّاها الربّ أن تساعدنا في إيجاد الخلاص أو أن تلقي بنا في محيط الهلاك. دعونا جميعًا نقبل حالتنا الحقيقيّة؛ من الصعب فعل ذلك طبعًا. أُلاحظُ خلال سرّ الاعتراف كيف يُعرِبُ بعض الناس عن رغبتهم في التطوُّر روحيًّا، لكنَّ الإرث الذي نالوه من آبائهم والشعور الخانق في داخل نفوسهم يظلّان قابعَين هناك.

كيف لهذين أن يختفيا؟ ذوقوا المسيح وانظروا ما ستصبحون عليه. نحن نرى هذا في الأديرة. هل تعتقدون أنّ كلّ مَن يأتون إلى الأديرة ملائكة؟ لا أحد يأتي إلى الدير كالملاك. نحن جميعًا خطأة، ولهذا نذهب إلى الدير، لكي نخلص ونشفى. يذهب كلّ أنواع الناس إلى الدير. إذًا، أولئك الذين يعيشون حياةً روحيّةً حقيقيّةً يتحوّلون، وكأنّ أجنحةً تنبت لهم، مثل الطيور، وسرعان ما يبدؤون في الطيران.

دعونا نقبل بتواضعٍ ما أعطانا الربُّ، ولا نحسد الآخرين مطلقًا قائلين: "لماذا جاري أذكى منّي؟". ربّما لأنّكَ لو امتلكتَ ذكاء هذا الشخص، لتحوّلتَ إلى هتلر جديد. وبدلًا من أن تكون صالحًا، ستؤذي نفسكَ والآخرين.

"لماذا لا أملك الكثير من المال؟". لأنّه لو أعطاكَ الربُّ الكثير من المال، لتركتَ الله ورفضته ودمّرتَ نفسكَ.

يجب أن نتخلّص من هذه التساؤلات كلّها، فهي لا تتّفق مع انتمائنا المسيحيّ. وعلينا أن نُمجّد الله بتواضعٍ على ما أعطى لكلّ واحدٍ منا، وأن نسأله أن يعطينا القوّة لنحمل صليبنا الشخصيّ.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Hieromonk Athanasios of Simonopetra (2025). “The Lord Loves You Far More Than You Love Yourself”, Part 1. *OrthoChristian*.

عندما لا نهاب الموت،
عندها فقط نستطيع أن نبقى أمناء للمسيح حتّى النهاية

مقتطف من تفسير رؤيا 12

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

لم يُكتَب سِفر الرؤيا ليُشبع فضولنا فنقول: "ومِن ثمَّ سيحصل كذا وكذا، والأمر الفلانيّ سيحصل في الوقت كذا". كُتِبَ السِّفر لكي يُظهِرَ لنا الحربَ الدائرة في العالم الروحيّ، تلك الحرب الضارية التي يشنُّها ضدُّ المسيح، أي الشيطان، ضدَّ المسيح؛ وأيضًا لكي يترك لنا رسالةً أبديّةً مفادها أنَّ: "المسيح سينتصر. المسيح سيحكُم العالم، وجميع أولئك الذين يحبُّون المسيح، وهم متَّحدون به، سيحيَون ويحكمون معه". ينبغي ألَّا يخاف الإنسان أو يضطرب في الطريق الروحيّ عندما يرى حروبًا ومشقَّاتٍ ومُعارضةً ومقاومةً ضدَّه شخصيًّا وضدَّ الكنيسة كلِّها.

"وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي السَّمَاءِ: «الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَاراً وَلَيْلاً" (رؤيا 12: 10). تذكَّروا سيرة القدّيس أيُّوب الصدِّيق الكثير الجهاد، وكيف مَثَلَ الشيطان أمام الله وراح يفتري على أيّوب قائلًا: "أتظنُّ أنَّ أيّوب يكرمك ويحبُّك بلا سبب؟ كيف لا يُحبّك وقد منحتَه الكثير من الخيرات وشتَّى أنواع الأشياء؟". وسأل الشيطانُ الله أن يعطيَه سلطةً ليُجرِّب أيّوب، فسمح له الله بأن يفعل بأيُّوب ما يشاء، على ألَّا يمسَّ حياته. بدأ الشيطان بمهاجمة أيّوب مُمطرًا عليه شرورًا كثيرة. وبقي أيّوب المبارك صُلبًا، كالحجر الماسيّ، بصبره وإيمانه، وخرج من التجربة ظافرًا...

يسأل الشيطان الله أن يعطيه سلطةً على شعب الله، على إخوتنا. وبما أنَّ لدينا ضعفاتنا وخطايانا، فإنَّنا نُعطي الشيطان سلطةً علينا من خلالها. يبحث الشيطان عن فُرصٍ ليُطالبَ بحقوقه علينا، لكي يَدينَنا في ما بعد ويُعاقبنا ويُمزِّقنا. يرتّب مُختلف التجارب والمِحَن ضدَّنا، وإذا نجح في ذلك يقودنا إلى القنوط واليأس، دافعًا إيَّانا إلى التذمُّر.

"وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْحَمَلِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ" (رؤيا 12: 11). إخوتنا هؤلاء -المسيحيّون، الشهداء، القدّيسون- غلبوا الشيطان بدم الحمل وكلمة شهادتهم. إنَّنا، نحن المسيحيّين، نتغذَّى في شركة جسد المسيح ودمه، ونحيا ونتحرّك ونوجد فيها. المسيح هو الحمل المذبوح من أجل حياة هذا العالم، والناس جميعًا هم أبناء الكنيسة. إنَّهم يتقوّون بدم الحمل وكلمة شهادتهم، ويحيَون بهما ويغلبون ويوجَدون ويغتذون.

وإذ يغذّيهم المسيح، ويحيون معه، فإنَّهم يشهدون له، لأنّهم لم يحبّوا حياتهم، بل وازدروها حتّى الموت. لم يعدُّوا أنفسهم مستحقّين إكرامًا خاصًّا بسبب محبّتهم للمسيح؛ بل ازدروا أنفسهم من أجل هذا المحبّة. وضعوا محبّتهم لأنفسهم ومحبّتهم للدنيويّات في المرتبة الثانية. أحبّوا المسيح أوّلًا، وبعده أحبّوا كلّ شيء آخر. وهكذا فقط غلبوا الشيطان وظلّوا راسخين، إذ اغتذوا بدم الحمل وشهادتهم.

هذا يوضح لنا ما هي حياة المسيحيّ، وما هي حياتنا. يجب أن تكون حياتنا متَّحدةً بالمسيح باستمرارٍ من خلال الأسرار المقدّسة. وبنتيجة هذه الوحدة، ينبغي لنا أن نصبح مُعترفين، وأن نشهد لكلمة الله ونبرهن حقيقتها من خلال حياتنا، بحيث تؤكّد أعمالُنا كلمة الله.

إذا لم تؤكّد حياتُنا كلمةَ الله، فسنواجه المشكلات بالتأكيد، وسيواجه الآخرون مشكلاتٍ أيضًا، لأنّهم لن يصدّقوننا. ومتى نعيش بطريقةٍ مُقنعةٍ لهم؟ عندما نحبّ المسيح أكثر من أيّ شيءٍ في هذا العالم، ومن ثمّ تأتي محبّة كلّ شيء آخر. عندما لا نحبّ حياتنا، وعندما لا نهاب الموت، عندها فقط يمكننا أن نبقى أمناء للمسيح حتّى النهاية.

...

مشكلتنا اليوم، ودائمًا، هي أنّنا أناسٌ غير ثابتين؛ لا نحيا بدم الحمل، ولا نعيش كلَّ يومٍ في اتّحادٍ مع الربّ، وذلك بسبب إهمالنا، وعدم استحقاقنا، ولا مبالاتنا، وعدم اكتراثنا، ولذا فإنّ كلامنا لا يشهد للمسيح. كلامنا غير مُقنِع، ولا تؤكّده حياتنا؛ كثيرًا ما نقول شيئًا ونفعل عكسه. ومحبّتنا للمسيح هي أمرٌ ثانويّ. لو خُيِّرنا بين الحياة والمسيح، فغالبًا ما نختار حياتنا، لا المسيح والموت. أمّا الشهداء والقدّيسون، فقد وضعوا المسيح أوّلًا، ثمّ كلَّ ما عداه. ولم يهابوا الموت.

...

عليكم أن تتحلّوا بالشجاعة وألّا تخافوا. كونوا مستعدّين أن تصبروا حتّى الموت.

إن لم تتعلّموا هذا النمط من التفكير، فستكونون جبناء. وعندما تكونون جبناء، تصير حياتكم بلا معنى وتتحوّل كلُّها إلى تذمّرٍ وتفاهةٍ... الجُبن في نفس الإنسان هو مثل الخنفساء الضخمة التي تأكل الأشجار. إنّه نابعٌ من ضعفِ الإيمان، ويأكل الإنسان شيئًا فشيئًا، فيعاني الإنسانُ كثيرًا.

...

يقول سفر الرؤيا إنّ الناس لم يخافوا من الموت. لماذا لم يخافوا؟ لأنّهم أحبُّوا المسيح. كانوا يعلمون أنّه عندما تحبّ المسيح وتتّحد به، فإنّ الموت لا يعود مخيفًا.

في خدمة الفصح نسمع كلمات القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم الذي يقول: "لا يخشَ امرؤٌ الموتَ لأنّ موت المخلّص قد حرّرنا". ليس لدينا ما نخشاه. الموت هو انتقالٌ من الزائل إلى الأبديّ، من الفاسد إلى غير الفاسد، من الأرضيّ إلى السماويّ؛ لذا لا يوجد سببٌ للخوف.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol (2024). “The War in Heaven”, In *Revelation: Removing the Veil*, Part 23. *OrthoChristian*.

اللهُ نار

عظةٌ للقدّيس يوحنّا (مكسيموفيتش) أسقف شانغهاي وسان فرنسيسكو

"إلهُنا نارٌ آكِلة" (عبرانيّين 12 : 29). عندما يمسُّ جسمٌ ما النَّار فإنَّه يتغيَّر؛ إمّا يحترق وإمّا يتصلَّب.

وهكذا، فإنَّ الشخص الذي يلامس اللهَ إمّا يهلك وإمّا يخلُص.

تبقى النار نارًا! ولكن، ينتج من لمسها إمّا الرماد وإمّا الفولاذ، وذلك بحسب ما تلامسه.

يحدث الأمر عينه مع الإنسان، ويتوقَّف كلُّ شيءٍ على ما يُقدِّمه إلى النَّار الإلهيّة، أي على الحالة التي يلامس فيها اللهَ. إذا صمدَ كالحديد، فسيتقوَّى الحديدُ ويصير فولاذًا. وإذا ضعُفَ كالتبن، فسيحترق.

سيلمس كلُّ إنسانٍ اللهَ، عاجلًا أم آجلًا؛ وويلٌ له إن لم يتهيّأ لذلك اللقاء.

اقتربَ تولستوي من اللهِ بتهاونٍ واعتدادٍ بالنفس، ومن دون خوفِ اللهِ، وتناولَ القُدُسات بغير استحقاقٍ، فأصبح مرتدًّا.

ستأتي ساعةٌ سنُلامس فيها قوّة اللهِ، أأحببنا ذلك أم لا.

المِذراة بيَدِ الربّ. يُرمى القمح والتبن بمذراة، فتُذرِّي الريحُ التبنَ بعيدًا، بينما يسقط القمحُ عند أقدام السيِّد ويُجمَعُ في أهراءٍ، وأمّا التبن فيُترَكُ أو يُحرَق.

لا مفرَّ من لقاء الربّ، وينبغي لنا أن نستعدّ له.

خطايانا هي تبنٌ يحترق في هذا اللقاء. من الضروريّ أن تَدينوا أنفسكم مُسبقًا، وأن تفصلوا أنفسكم عن التبن استعدادًا لذلك اللقاء، وتُحرقوا تبنَ الخطايا بالتوبة.

إمّا سيحترق التبن وحده، وإمّا سيحترق معه الإنسان الذي استسلم للخطيئة.

عليكم أن تعرفوا عن الدينونة الأخيرة، وتتعاملوا مع ذلك اليوم والحدث كما يجب. عليكم أن تُطهِّروا أنفسكم، وأن تصلّوا. ينبغي التعامل مع ذلك الحدث بوضوحٍ ووعيٍ تامٍّ، وليس كما يفعل الحيوان حين يخبّئ رأسه كي لا يرى الخطر المُحدِق.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Saint John (Maximovitch) of Shanghai and San Francisco (n.d.). *God is Fire.* Translated by John Sanidpolous in *Eschatologia: An Orthodox Christian Examination of the Last Things*. Eschatologia.